كلمة رئيس مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

أيها السيدات والسادة

إنه يوم حزين يدعوكم فيه مجمع اللغة العربية إلى المشاركة في تأبين باحث نادر المثال كان له من المزايا ماجعل له موقعًا متميزًا بين الباحثين في أدق المسارات اللغوية العربية التي تشكّل لبّ اهتمامات مجمع اللغة العربية. ونحن اليوم حين نتكلم عن الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله، الذي انتخب عضوًا عاملًا في مجمعنا عام ٢٠٠٨، لابدّ لنا من توضيح مساره النيّر في عدد كبير من مجالات اللغة العربية التي مازالت تحتاج إلى ذلك المستوى العالي من الدراسة والتمحيص.

وإني حين أتطرق لسيرته الذاتية باختصار لا بدّ لي من تأكيد تقديري الكبير لجامعتنا العريقة التي هيئت الفرص لبروز هذا المستوى العالي من المعرفة في أعماق لغة لاينكر أحد أنها من أوسع اللغات في عالمنا، وأن نظامها اللغوي له ثوابت عقلانية متينة.

فقد كان لفقيدنا تدرّج جامعي لامع يتضمن درجاتٍ علمية متكاملة، من

الإجازة باللغة العربية وآدابها عام ١٩٦٨ إلى الدكتوراه بدرجة الشرف في اللغة العربية وآدابها عام ١٩٩٠، وذلك بعد اجتياز امتحانات الشهادة العامة في التربية عام ١٩٦٩، وشهادة الدراسات اللغوية العليا عام ١٩٧٦، وشهادة الماجستير باللغة العربية بدرجة امتياز عام ١٩٨٠.

أيها السيدات والسادة

إنه مسار نيّر تَتتابعُ فيه المراحل العلمية والبحثية، العامرة بدقائق اللغة العربية، بما يثبت تميّزها عن معظم اللغات العالمية الأخرى، حين نذكر المجالات اللغوية التي انغمسَ فقيدنا في دراستها.

وهذا ما جعله يتميز أستاذًا للغة العربية في جامعة البعث وجامعة الإمارات العربية، وهو مستمر في متابعة البحوث فقد ترك لنا آثارًا علمية تضمنتها مؤلفات بارزة، ككتابه عن ابن يعيش النحوي، إضافة إلى كتابه عن اللغة والنحو والبلاغة عام ١٩٩٥، وذلك إلى جانب إنتاجه الواسع في مجالات التحقيق لآثار تراثية هامة كإعراب الحديث النبوي للعكبري، إضافة إلى تحقيقه مجموعة المختار من معجم البلدان لياقوت الحموي، بتفصيل دراسة البلدان الفلسطينية والأندلسية، إضافة إلى سِفْر ثالث يتعلق بسورية ولبنان والأردن.

لقد كان متميزًا في أمور التحقيق بما سمح له أن يتولى التحقيق لكتب تراثية مرموقة كالمقصور والممدود للفرّاء، والأشباه والنظائر في النحو للسُّيوطي، حيث تطرق إلى توضيح المنهج التنظيمي للكتاب وإلى مصادره النحوية.

وقد كانت نظرته إلى الشهيد عبد الحميد الزهراوي أحد شهداء ٦ أيار نظرة إكبار جعلته يخصص لإنتاجه الفكري كتابين يبرزان القيمة الثقافية التي فقدتها سورية باستشهاده.

كل ذلك إلى جانب المقالات المفسّرة لبعض المؤلفات التراثية، وكان ينشرها في عدد من المجلات الأدبية إلى جانب مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

إلا أنه تميز إلى جانب تلك البحوث بأنه كان يتابع ما ينشر من دراسات تتعلق بكتب معروفة لمؤلفين قد تجاوزوا مواقع النقد كابن العديم وابن الحنبلي والصاغاني والسجستاني، ولايتردد في إبداء مايراه من نقد بنّاء يساعد على توضيح إنتاجهم.

كما أن له مجموعة من المقالات النقدية ثابر على نشرها في المجلات الثقافية منذ ثمانينيات القرن الماضي حتى أيامه الأخيرة.

وقد أبدى إعجابه بالمستعرب الألماني فون غرونباوم وتعرّض لمناقشة بعض نظراته، دون إنكار مافي أعماله من فهم عميق للغة العربية.

أيها السيدات والسادة

لقد كان فقيدنا واحدًا من الذين أرادوا خدمة اللغة العربية على جميع المستويات التي يمكن أن تعيد إليها موقعها بعد توضيح حقائق تفرّدها، وكشفِ إمكان الإفادة من تراثها العريق في خدمة ثقافة عربية تُماشي متطلبات الحداثة، وتفتح الأبواب واسعة لمسايرة التطورات العالمية السريعة. ومن أهم هذه الأعمال كتابه عن الفهارس الشاملة لكتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ويضم كتابه ٧٠٠ صفحة تصلح مسردًا جاهزًا لفهم تطور اللغة بتأثير الحداثة.

أيها السيدات والسادة

لن أطيل في سرد ذلك العدد الكبير من البحوث الهامة الموزعة بين

الدراسات الشعرية، ودراسات دقيقة في أمور البناء والإعراب، والعديد من المجالات اللغوية الهامة، إلا أنني أذكر إقدامه على إجابة سريعة لما يطلبه منه مجمعنا في أمور رأَينا أنه خيرُ من يكون محكّمًا أو ناقدًا لها نظرًا لما عرفناه عنه من التجرّد والخبرة الطويلة في مجالات النقد والتحقيق.

إلا أنه لا بدّ لي من القول بأن خسارتنا كبيرة برحيله، وقد كان عمادًا موثوقًا يُلجأ إليه للوصول إلى المستوى الأعلى من الحكم النزيه في تحديد قيمة أي بحث جدّي. فقد كان من حرّاس اللغة العربية القائمين على ضرورة الحؤول دون أن يُصِيبها التدني حين يدخل التساهل إلى قرارات مجامع اللغة العربية.

وإن المثال الذي أعطاه فقيدنا في حرصه على صون دقائق النظام اللغوي المتميز للغة العربية سيبقى لنا مستندًا في متابعة ما يقوم به مجمعنا في خدمة اللغة العربية والإصرار على جعلها حاملًا قادرًا على تأمين متطلبات الحداثة المتسارعة.

رحم الله فقيدنا وأسكنه فسيح جناته.

❊ ❊ ❊